حرمة القيمين الدينيين:

الحمد لله وحده ولا رب سواه.

أما بعدُ:

فمن اللازم، التكلم عن كل الظواهر السيئة المنتشرة في المجتمع. ومن أقبحها في زماننا، ظاهرة الطعن في علماء الأمة السابقين كالأئمة الأربعة، وفي المذاهب الفقهية المعتبرة كالمذهب المالكي. فلا نستغرب أبدا، التجرؤ في المساجد أيضا، على العلماء والخطباء والأئمة وعلى القيمين الدينيين، بدلا من توقيرهم لمكانتهم ومساعدتهم في مهامهم وشُكرهم على مجهوداتهم.

لهذا نجد في كثير من المساجد، مَن همُّهم أكثر، هو التحريض على الخطيب أو على الإمام أو على المؤذن أو على أحد المساعدين. ونجد شُغلهم فقط، هو التربص بالقيمين الدينيين وجمع توقيعات وشكايات ضدهم.

والحمد لله، فالذين يقعون في هذه الظاهرة القبيحة، هم قلة. لكنهم يلتجؤون لآخرين، لمساعدتهم على تحقيق نواياهم. وبعملهم القبيح، المدعم للتحريض والناشر للفتنة، قد يشوشون على المسجد، ويمنعونه من وظيفته الأساسية لتبليغ الرسالة المحمدية.

فيُخشى عليهم من قول الله عز وجل في سورة البقرة: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا. أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا، إِلَّا خَائِفِينَ. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ، فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

لقد ورد في تفسير الإمام القرطبي المالكي، الاختلاف في المُراد بهذه الآية وفيمن نزلت.

فذكر المفسرون أنها نزلت فيمن خربوا بيت المقدس

مـن قبـل كالنصـارى، للتعجـب مـن تخريبـه رغـم ادعـائهم تعظيمَه، بسبب عداوتهم لليهود.

وقيـل: نزلـت فـي المشـركين، لأنهـم منعـوا النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، وردوه مـع مَـن معـه، عـن المسـجد الحـرام عـام الحديبية.

وقيـل: المـراد مَـن منـع مِـن كـل مسـجد إلـى يـوم القيامـة، وهـو القـول الصـحيح لأن اللفـظ عـام ورد بصـيغة الجمـع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف.

لهـذا، علـى كـل مـن يقـع فـي كبـائر منـع المسـاجد مـن القيـام بمهامهـا، أن يتـوب إلـى الله توبـة نصـوحا، وإلا فإنـه يُعرض نفسـه للوعيـد الشـديد. فيكـون مـن الأفضـل لـه، إن لـم يسـتطع تحسـين أخلاقـه، أن يبحـث لنفسـه عـن مسـجد غيـر الذي يفتن الناس فيه.

ثـم عـوض التـربص بـالقيمين الـدينيين، وتتبـع هفـواتهم،

وفضح أخطائهم، المفروض في المؤمنين الصادقين أن يتحاوروا ويتناصحوا فيما بينهم. وينصحوا مِن باب أولى، مَن يُوجههم ويساعدهم في دينهم، ما دام يتقبّل نصائحهم، بل عليه قبول الصحيح منها لتحسين مهمته فيهم.

ومن المفروض أكثر، عوض البحث عن السلبيات، دعم الإيجابيات، حتى تُزيل أو تُغطي على كل الهفوات. لكن الأهم كذلك في المسجد، هو القيام والالتزام بالواجبات تجاه القيمين عليه.

فينبغي لوجه الله أولا وأخيرا، تقديم المساعدة لهم في مهامهم، والنظرُ دائما في حاجياتهم. ومنها الالتزام بالشّرط المتعارف عليه واجبا لهم كشرط الإمام، لأن المسلمين، كما ورد في الحديث النبوي، هم عند شروطهم، بدلا من التملص منها بمبررات واهية لا تزيل

المسؤولية عنهم، كالمنحة التي تعطيها الدولة، لأنها مجرد مساعدة وليست أجرة كافية.

إن كل الواجبات لرعاية المساجد عظيمة، لأنها في العبادة التي خُلقنا لأجلها أساسية، بل قد تكون من الصدقات الجارية. فنحقرها وهي عند الله عالية، كتوفير وإصلاح مُكبرات الصوت، ليصل بمستويات واضحة.

وتدل على مكانة هذه الأعمال، نصوص وأدلة شرعية كثيرة. منها ذلك الحديث المشهور، الوارد في صحيح البخاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ أَسْوَدَ (رَجُلا أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ) كَانَ يَقُمُّ (أي: يجمع قُمامة وأزبال) الْمَسْجِدَ، فَمَاتَ. فَسَأَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ صلى الله عليه وسلم: "أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ! دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ". فَأَتَى قَبْرَهَ، فَصَلَّى عَلَيْه.

ولا شك أن نبينا ما صلى عليه، إلا لمكانته العظيمة عند ربه. فلا ينبغي لنا أبدا، تفريطُنا بالوقوع في حُرمات المساجد، بدلا من حِرصنا على مكانتها.

إنها تنبيهات من أجلنا جميعا، لمحاربة الفواحش السيئة والْتزام الأخلاق الحسنة دائما.

فندعو الله العَلي القدير، أن يجعلنا عموما من المُتّبعين للحسنات، المبتعدين عن السيئات، وخصوصا من المهتدين الهادين، المصلِحين الصالحين.

وآخر دعوانا ختاما، أن الحمد لله رب العالمين دائما.